

حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وشرعية مقاومته

د. طه محمد والي*

قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والتجارة، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا

*البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): t.wali@asmarya.edu.ly

The Right of the Palestinian People to Self-Determination and the Legitimacy of Their Resistance

Dr. Taha Mohamed Wali *

Department of Political Science, Faculty of Economics and Commerce, Al-Asmarya Islamic University, Zliten, Libya

Received: 01-07-2025; Accepted: 08-09-2025; Published: 22-09-2025

المخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل الأسس السياسية والقانونية التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وشرعية مقاومته للاحتلال. كما يسعى إلى التمييز بين المقاومة المشروعة والإرهاب من خلال معايير قانونية واضحة، وتفنيد الاتهامات التي تربط بينهما. يستخدم البحث منهجاً وصفيًا تحليليًا ومدخلًا قانونيًا لدراسة النصوص الدولية ذات الصلة، مثل ميثاق الأمم المتحدة واتفاقيات جنيف لعام 1977.

وقد توصل البحث لعدة نتائج أهمها: أن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وشرعية مقاومته يستندان إلى أسس قانونية راسخة في القانون الدولي. إلا أن هذه الشرعية تواجه تحديات كبيرة بسبب نفوذ القوى الكبرى، مما أدى إلى إفراغ القرارات الدولية الداعمة لها من محتواها العملي. كما أكدت الدراسة أن الخلط بين المقاومة والإرهاب هو محاولة متعمدة لنزع الشرعية عن النضال الفلسطيني وتبرير الإجراءات العسكرية الإسرائيلية.

وبناء على هذه النتائج توصي الدراسة بتكثيف الجهود العربية والدولية لزيادة الوعي القانوني العالمي بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته وشرعية مقاومته. وتفنيد الرواية الإسرائيلية التي تساوي بين المقاومة مع توضيح لممارسات إرهاب الدولة ضد الشعب الفلسطيني. إضافة إلى تفعيل الآليات القانونية الدولية، مثل محكمة العدل الدولية والجنائية الدولية، لمحاسبة إسرائيل على انتهاكاتها. كذلك ضرورة العمل على دعم المقاومة الشعبية السلمية التي تحظى بتعاطف دولي أوسع كأداة ضغط فعالة.

الكلمات المفتاحية: فلسطين، المقاومة، حق تقرير المصير، الإرهاب، القانون الدولي.

Abstract

This research aims to analyze the political and legal foundations affirming the Palestinian people's right to self-determination and the legitimacy of their resistance against occupation. It also seeks to distinguish between legitimate resistance and terrorism through clear legal criteria, refuting the accusations that equate the two.

The study adopts a descriptive-analytical methodology and a legal approach in examining relevant international texts, such as the United Nations Charter and the 1977 Geneva Conventions.

The research concludes that the Palestinian people's right to self-determination and the legitimacy of their resistance are firmly rooted in international law. However, this legitimacy faces significant challenges due to the influence of major powers, which has rendered many international resolutions supporting these rights practically ineffective. The study also confirms that the conflation of resistance with terrorism is a deliberate attempt to delegitimize the Palestinian struggle and justify Israeli military actions.

Based on these findings, the study recommends intensifying Arab and international efforts to raise global legal awareness of the Palestinian people's right to establish their state and the legitimacy of their resistance. It also calls for refuting the Israeli narrative that equates resistance with terrorism, while exposing the practices of state terrorism against the Palestinian people. Furthermore, it stresses the need to activate international legal mechanisms, such as the International Court of Justice and the International Criminal Court, to hold Israel accountable for its violations. Finally, it emphasizes supporting peaceful popular resistance, which enjoys broader international sympathy as an effective means of pressure.

Keywords: Palestine, resistance, right to self-determination, terrorism, international law.

المقدمة

شهدت بلاد الأندلس خلال عصر الموحدين (من منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) تحولات جذرية على الصعيدين السياسي والثقافي. كانت الخيانة التي ارتكبها بعض أمراء الطوائف والقادة المحليين، إلى جانب الانشقاقات الداخلية، عاملاً أساسياً في هذه التحولات. وقد كان لهذه الخيانات أثر بالغ في زعزعة استقرار الدولة، وتسليم المدن الكبرى دون قتال، وإضعاف السلطة المركزية، الأمر الذي انعكس بشكل مباشر وعميق على الحياة الثقافية والفكرية، ومن ثم على هجرة العلماء وتحول مراكز العلم من الأندلس إلى المشرق. أغلب حركات التمرد والخيانة في الأندلس كانت توحى إلى الاستئثار بالسلطة والاستقلال والانفصال، ولم يكن دافعها تغييراً إصلاحياً. كان على السلطات الأندلسية الرد على هذه الحركات بالقوة للقضاء عليها، وذلك من أجل مصلحة الأرض والبلد التي تحيط بها الأعداء من كل جانب. وقد أدت هذه السلسلة من الانحذارات المتعاقبة إلى فقدان الأندلس لدورها الحضاري والفكري في العالم الإسلامي.

أهداف الدراسة

1. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على العلاقة بين الخيانة واضطراب الحياة الثقافية من خلال تتبع تأثيرها على المؤسسات العلمية والعلماء والإنتاج الفكري.
2. توضيح انعكاسات الخيانة على الحركة الفكرية، بما في ذلك نزوح المفكرين وضعف حركة التأليف والتدريس في المدن الأندلسية.
3. بيان تأثير الخيانة من خلال تغيير مراكز النشاط العلمي في الأندلس إلى مدن أخرى في المغرب والمشرق الإسلامي.

أهمية الدراسة

1. رصد نتائج الخيانة السياسية على النشاط الثقافي والفكري في الأندلس خلال عصر الموحدين.
2. فهم الأسباب التي كانت وراء فقدان الأندلس لدورها الحضاري والفكري في نهاية عصر الموحدين.

مشكلة البحث

من أهم الأسباب التي دفعت الباحثة لاختيار هذا الموضوع هو أن معظم الدراسات التي تناولت موضوع الخيانة في الأندلس اقتصرت على الجانب السياسي في إطار دراستهم لسقوط المدن وانهيار الحكم. في حين تسعى هذه الورقة إلى تحليل العلاقة المباشرة بين الخيانة السياسية وتدهور الحياة الثقافية والفكرية. وبما أن الدراسات في هذا الجانب ظلت محدودة، تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما أثر الخيانة السياسية على المؤسسات الثقافية والتعليمية؟
- ما أثر الخيانة على هجرة العقول وانطفاء مراكز الإبداع؟
- إلى أي مدى يمكن اعتبار الخيانة أحد العوامل المفصلية في انهيار الدور القيادي الثقافي للأندلس خلال عصر الموحدين؟

الدراسات السابقة

تناولت العديد من الأبحاث الجوانب السياسية والفكرية في تاريخ الأندلس وعصر الموحدين. وتحدد أبرز الدراسات التي تطرقت لموضوعات ذات صلة بموضوع البحث الحالي فيما يلي:

سماح فتحي: الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس وأثرها في بناء الدولة (رسالة ماجستير، 2015م).
 ■ **القيمة المضافة:** تعالج هذه الرسالة جانباً مهماً وهو الجوانب الأخلاقية للحكم وتأثيرها على بناء الدولة.

■ **صلتها بالبحث الحالي:** تتقاطع الدراسة مع موضوعنا من حيث معالجة الجانب السلوكي والأخلاقي الذي قد يندرج تحته مفهوم الخيانة. ومع ذلك، فإنها لا تركز بشكل مباشر ومخصص على أثر الخيانة السياسية على الحياة الثقافية والفكرية كما يفعل البحث الحالي.

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين في الأندلس خلال عصر الموحدين (كتاب، 2001م).

■ **القيمة المضافة:** عالج الباحث في هذه الدراسة الشاملة الخيانات السياسية التي ظهرت بعد ضعف السلطة المركزية للموحدين.

■ **صلتها بالبحث الحالي:** أشار الكتاب إلى أثر تلك الخيانات في ضعف القوة العسكرية، لكنه لم يتوسع في البعد الثقافي والفكري للخيانات، وهو ما تسعى هذه الورقة إلى تتبعه وتحليله بعمق.

سهير صفوت: الحياة الفكرية في الأندلس

■ **القيمة المضافة:** ركزت هذه الدراسة على تطور الفكر والفلسفة في الأندلس، وخاصة في عصر الموحدين.

■ **صلتها بالبحث الحالي:** رغم معالجتها للحياة الفكرية للموحدين، إلا أنها لم تربط بين الحوادث السياسية (كالخيانة) والفكرية، ولم تدرس دورهما المباشر في إسقاط الدولة أو تدهور المراكز الثقافية.

الفجوة المعرفية

بناءً على العرض السابق، يتضح أن معظم الدراسات إما أنها:

1. تناولت الخيانة السياسية في إطار السرد التاريخي والتحليل العسكري/السياسي العام.
2. أو ركزت على تطور الحياة الفكرية والثقافية دون ربطها المباشر والمفصلي بعوامل الضعف السياسي كالخيانة.

تسعى هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة المعرفية من خلال تخصيص البحث لتحليل العلاقة السببية المباشرة بين ظاهرة الخيانة السياسية وتداعياتها على تدهور المؤسسات العلمية، وهجرة العقول، وتغير ملامح الإنتاج الفكري في الأندلس خلال فترة حكم الموحدين.

مباحث الدراسة

المبحث الأول: لمحة عن عصر الموحدين في الأندلس من الناحية السياسية والثقافية

شهدت الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) تحولات سياسية تمثلت في سقوط دولة الطوائف وبروز دولة المرابطين التي وحدت الأندلس مؤقتاً وصدت الحملات النصرانية أبرزها معركة الزلاقة (479هـ / 1086م) غير أن المرابطين لم يتمكنوا من وحدة الأندلس إذ سرعان ما تفككت دولتهم بسبب النزاعات الداخلية، وظهور قوى جديدة في المغرب، حيث قامت ثورات الموحدين على المرابطين، وكانت بداية ثورتهم في بلاد المغرب، ولكنها سرعان ما انتقلت إلى الأندلس بشيء من السلاسة بدون أدنى صعوبة وقد قاد ثورتهم في بلاد المغرب محمد بن تومرت الذي دعا إلى إصلاح ديني وسياسي يقوم على التوحيد الخالص. وبعد وفاة ابن تومرت، تولى عبد المؤمن بن علي قيادة الحركة الموحدية وأسس الدولة الموحدية واستطاع أن يبسط سيطرته على بلاد المغرب، ثم على الأندلس عام 541هـ / 1146م ليبدأ عهد جديد من تاريخ الأندلس تحت الحكم الموحيدي (1) (الناصرى 26، ج1، 1894، ص169).

بدأ الموحدون في التوسع في الأندلس تزامناً مع ضعف الدولة المرابطية ومطامع ملوك قشتالة وليون في الاستيلاء على الأراضي الإسلامية. وقد لقي الموحدون في بداية عهدهم قبولاً واسعاً في أوساط العلماء والعامّة نظراً لما رفعوه من شعارات إصلاحية كما أنهم أحكموا سيطرتهم على المدن الكبرى مثل إشبيلية وقرطبة ومرسية. هذا وقد بلغت الدولة الموحدية ذروة نفوذها في عهد الخليفة يعقوب المنصور (580-595هـ / 1184-1199م) الذي واجه القوى النصرانية الشمالية وحقق نصراً حاسماً في معركة الأرك عام 591هـ / 1195م ضد ملك قشتالة ألفونسو الثامن فكان لهذا الانتصار أثر كبير في هيمنة دولة الموحدين على الأندلس وبالتالي أتاح للسلطة الجديدة فرض الاستقرار وبسط نفوذها السياسي العسكري (2) (محمد عبد الله عبد الفتاح، 2001، ص210).

أما الحياة الثقافية والفكرية في ظل الموحدين امتازت لاسيما في فترات الأولى، بقدر من الاهتمام الكبير بالعلوم الشرعية والفكرية. فقد تبنى الخلفاء الموحدون سياسة تقوم على دعم العلماء وإنشاء المدارس الكبرى، وفتح أبواب النقاش في الفقه والفلسفة والكلام، وظل هذا الاهتمام مشروطاً بضوابط عقائدية مستمدة من تعاليم المهدي ابن تومرت، وأدى هذا الاهتمام إلى تطوير البنية الثقافية والتعليمية وبالتالي ظهور العديد من المؤسسات التعليمية التي كانت جزءاً أساسياً من الحياة الثقافية في الأندلس. وكانت هذه المؤسسات تضم:

1. المدارس: التي كانت تدرس فيها العلوم الدينية والفقه والآداب والطب والرياضيات وكانت هذه المدارس ملجأ للطلاب من مختلف أنحاء العالم مثل مدرسة إشبيلية، ومدرسة قرطبة.
2. المكتبات: مثل مكتبة قرطبة حيث كانت تحتوي على مخطوطات في المجالات مثل الفلسفة والأدب والمُلك والرياضيات.
3. المساجد: فهي لم تكن مكان للعبادة فقط بل كانت مراكز علمية وثقافية حيث كان يتم فيها تبادل الأفكار والنقاشات الفكرية والعلمية (3) (محمد عبد الله عثمان، المرجع السابق، ج5، ص72-73).

ومن أبرز الأمثلة على ازدهار الحياة الفكرية في عصر الموحدين في الأندلس:

1. احتضان بلاد الموحدين فلاسفة كبار مثل ابن رشد (ت 595هـ) الذي كتب شروحه الفلسفية وكتب أرسطو تحت رعاية يعقوب المنصور.
2. ابن طفيل الذي ألف قصة "حي بن يقظان" التي تمثل نموذجاً مبكراً للرواية الفلسفية حيث جمعت بين التصوف والفكر العقلي (4) (فؤاد زكريا، 2014، ص73-76).

ولعب الحكماء والفلاسفة والأدباء أدواراً متباينة في مجتمع الأندلس الموحد بين الانخراط في مؤسسات الدولة أو اتخاذ مواقف ناقدة لها وامتد التأثير الثقافي الموحد ليطل مختلف ميادين الحياة اليومية، من الخطابة والوعظ إلى التعليم الرسمي والفقهاء القضائي. وقد أتاح هذا المناخ في بداياته شبه المستقرة إلى نشوء توازن بين الفكر والعقيدة والسياسة، لكنه لم يدم طويلاً إذ سرعان ما بدأ يختل مع تصاعد التهديدات الخارجية وظهور الخيانات والانشقاقات الداخلية (4) (محمد عبد الله عنان المرجع السابق، ص223-224).

المبحث الثاني: مظاهر الخيانة السياسية وتأثيرها المباشر في الأندلس خلال عصر الموحدين
تعد الخيانة السياسية من أبرز العوامل التي ساهمت في تعجيل تفكك السلطة الإسلامية في الأندلس وخاصة خلال عصر الموحدين من القرن (6هـ-7هـ / 12م-13م). حيث شهدت الأندلس اضطرابات سياسية متكررة ساهمت فيها بشكل كبير مظاهر الخيانة، خصوصاً من بعض ولايات المدن على حساب وحدة الدولة. تمثلت هذه الخيانات في توسع القوى المسيحية في الشمال أو إعلان التمرد والطمع في الحكم المستقل، مما أدى إلى إضعاف سلطة الموحدين في الأندلس وتفكك السلطة المركزية فيها، خاصة بعد معركة العقاب سنة 609هـ / 1212م، حيث بدأت المدن الأندلسية تسقط واحدة تلو الأخرى نتيجة لغياب الولاء وضعف القيادة المركزية (6) حيدر عبد الرزاق العلي 2015 ص173). هذا وقد اتخذت الخيانة السياسية في عصر الموحدين في الأندلس عدة أشكال منها:

1. خيانة الولاة والأمراء المحليين: حيث شهدت الأندلس في أواخر عهد الموحدين تصاعداً كبيراً في ضعف علاقة الولاة المحليين بالحكم المركزي في مراكش. استغل بعضهم ضعف الدولة، وخاصة بعد هزيمة العقاب (609هـ / 1212م)، وبدأوا الاتصال بالملوك النصارى طلباً للدعم والأمان، في مقابل تسليم مدنهم أو تسهيل دخول الجيوش الأجنبية (7) (ابن الأثير ج11، ص211) (السيد عبد العزيز سالم، ص719). ومن أبرز الأمثلة تسليم والي بلنسية المدينة إلى ملك أراغون مقابل الاحتفاظ بوضعه الاجتماعي، وتمرد بنو غانية الذين حاولوا استعادة نفوذهم القديم بعد انهيار المرابطين (8) (ابن الخطيب، 1956، ص262).
2. الحروب الداخلية على الخلافة: فبعد مقتل الخليفة الناصر، نشبت نزاعات على الخلافة بين عدد من أمراء الأسرة الموحدية، مما أدى إلى تعدد الولاءات واختلاف القيادة السياسية، حيث استغلت الممالك النصرانية هذه الصراعات لتوسيع نفوذها (9) (ابن خلدون، ج6، ص157).
3. فساد القضاء والتلاعب بالأحكام: شهدت الأندلس خلال فترة الموحدين فساداً في الجهاز القضائي، حيث تم استخدام القضاء لتحقيق مكاسب سياسية شخصية. هذا الفساد أدى إلى تراجع العدالة الاجتماعية وزيادة الفتن بين أفراد المجتمع (10) (أسماء عبد الكريم عبد الغني 2023، ص71-82).
4. التعاون مع الأعداء: ففي بعض الحالات قام بعض القادة بالتحالف مع الأعداء مثل التعاون مع ملك قشتالة فرناندو الثالث، مما أضعف الدولة وأدى لفقدان الثغور لصالح الأعداء (11) (حيدر عبد الرزاق العلي، 2015، ص174).
5. استخدام الحيل السياسية والتخلص من الخصوم: حيث مارس الحكام في الأندلس حياً سياسية للتخلص من منافسيهم مثل إبعاد الشخصيات السياسية والتخلص من منافسيهم أو زرع الخلافات بينهم.

مما سبق، نستخلص أن أغلب حركات التمرد والخيانة في الأندلس كانت تهدف إلى الاستقلال والانفصال، بل كانت سبباً في الإخلال بالتوازن الأمني والسياسي. حيث أدت الخيانات إلى انهيار خطوط الدفاع الموحد، فسقطت المدن واحدة تلو الأخرى مثل قرطبة 1236م وإشبيلية 1248م في أيدي النصارى دون مقاومة تذكر بسبب التآمر الداخلي، إلى جانب فقدان الثقة بين القيادة والشعب نتيجة تكرار الخيانات. ولم تكن الخيانات ناتجة فقط عن ضعف داخلي، بل كانت أيضاً نتيجة لتكتيك متبع من قبل الممالك المسيحية في الشمال التي عملت على استقطاب بعض زعماء المسلمين مقابل وعود بالأمان والحكم الذاتي. ولكثرة سلبيات النظام الحاكم في الأندلس، غدا الشعب الأندلسي مستعداً لتحمل سلبيات هذا النظام.

أكثر من استعداده لتحمل مشقة إزالة هذه السلبات. فالفتنة والمشقة المترتبة على تحمل الوضع السلبي أخف وأهون من الفتنة بمحاولة تغييره (19) (محمد قطب 1987، ص 90-130). وترتب على ذلك فقدان الدولة لسيطرتها الفعلية على الأقاليم فلم تعد سلطة الموحدين قادرة على فرض أوامرها في المدن، حيث أصبحت بعض المناطق خاضعة فعلياً للنصارى وأخرى تحت حكم أمراء مستقلين، ودخول الأندلس في حالة (ما بعد الدولة) نتيجة الانقسامات، فتقسمت الأندلس إلى مجموعة من الإمارات المتصارعة مما مهد لظهور ممالك نصرانية قوية وتلاشي السلطة الإسلامية تدريجياً. وكما أثرت الخيانة على البنية الاجتماعية، بل وساهمت في انهيار الحياة الثقافية والفكرية، وهذا ما سوف نتناوله في المبحث الثالث.

المبحث الثالث: أثر الخيانة في تراجع الحياة الثقافية والفكرية في الأندلس خلال عصر الموحدين
بعد معركة العقاب (609هـ / 1212م)، بدأت الدولة الموحدية في التراجع وفقدان سيطرتها على الأندلس، وهو ما انعكس بشكل مباشر على الرعاية الرسمية للثقافة والعلم. حيث كانت الدولة في أوج قوتها توفر دعماً كبيراً للمكتبات والعلماء والمعاهد، إلا أن هذا الدعم تراجع مع انهيار السلطة المركزية واحتدام الصراعات بين مؤسسات العلم. توقفت العديد من المشاريع التعليمية الكبرى بسبب نقص التمويل وفقدان الاستقرار الإداري وتراجع الدعم المادي والمعنوي الذي كانت تقدمه الدولة الموحدية للعلماء، كما أغلقت بعض المدارس، فأعيد توجيه مواردها إلى أغراض عسكرية ودفاعية. وأصبح العلماء عرضة للتهميش أو الترحيل، وتراجعت حركة النسخ والتأليف (11) (محمد الحمداني، 2017، ص 112). كما مثلت الخيانات المتكررة حالة من عدم الأمان الفكري لدى العلماء بغياب مظلة تحميهم من التقلبات السياسية أو من الاتهام بالموالاة لخصوم الدولة. ومع غياب الأمن وضعف السلطة المركزية، أصبحت المؤسسات العلمية عرضة للنهب والإغلاق وتوقفت العديد من الأنشطة التعليمية. وقد وثقت المصادر التاريخية عدداً من الحوادث التي تعكس هذا التدهور ومنها نهب خزانة البلاط الموحي قبيل تولي الرشيد الموحي (628هـ / 1232م)، وكذلك نهب خزانة جامع القرويين في فاس أيام الفقيه يوسف بن عمران، كما تم السطو على المصحف العثماني خلال حملة الموحدين على تلمسان 645هـ / 1247م وتعطيل البنية التحتية الثقافية والعلمية التي كانت في صميم الحياة الفكرية للدولة (12) (أحمد المدني، 2011، ص 10-14).

في حين اتجهت بعض القوى السياسية إلى قمع الحركات وتهميش الفلاسفة والمثقفين بوصفهم خطراً على استقرار الدولة، مثلما حدث مع ابن رشد (595هـ / 1198م) الذي تعرض للنفي وأحرقت بعض كتبه، بسبب اتهامات دينية وسياسية رغم خدمته الطويلة للدولة الموحدية. كما استبعد الفلاسفة من مواقع التأثير العلمي والتربوي، وسادت أجواء من الخوف الفكري دفعت الكثيرين إما إلى الصمت أو إلى الهجرة. وفي الوقت الذي كانت فيه الأندلس تعد شبكة علمية متكاملة تربط المدن الأندلسية علمياً وفكرياً من خلال الرحلات وطلب الإجازات والمراسلات، ولكن مع تصاعد الخيانة وانهيار الوحدة السياسية تدهورت هذه الشبكة العلمية وتقطعت السبل بين المدن، مما أعاق حركة الطلاب والعلماء وأصبحت بعض المدن تخضع لسيطرة النصرانية التي قمعت الأنشطة الإسلامية (13) (المراكشي، 2005، ص 245-246).

المبحث الرابع: هجرة العلماء وتأثيرها على الحياة الفكرية في الأندلس
دفعت الخيانة السياسية والانقسام الداخلي وسقوط المدن الأندلسية بأيدي القوى النصرانية دافعاً قوياً لهجرة العلماء والمفكرين من الأندلس خلال القرن السابع للهجرة / الثالث عشر ميلادي، وكان لهذه الهجرة أسباب متعددة أبرزها:

1. انعدام الأمن والاستقرار: حيث فقد العلماء الحماية التي كانت توفرها الدولة لهم، فأصبحوا مستهدفين من قبل الفصائل المتصارعة والغزاة.
2. انهيار المؤسسات التعليمية والعلمية: حيث توقفت المدارس والمجالس، ولم يجد العلماء بيئة مناسبة لممارسة التعليم أو البحث.

3. تصاعد التهديدات الفكرية والسياسية: فالكثير من العلماء تعرضوا للمضايقة والالتهام والنفي، مما دفعهم إلى الهجرة والبحث عن أوطان بديلة تضمن لهم الحرية والاستقرار.
- وكان من أبرز العلماء الذين هاجروا خارج الأندلس وكان لهم أثر في الثقافة الإسلامية:
1. ابن رشد: كان أحد كبار فلاسفة الإسلام ونُفي إلى مراكش، وفي نهاية حياته حوِّرب من قبل المتشددين رغم كونه من أبرز رموز النهضة في بلاط الموحدين.
 2. ابن طفيل: فيلسوف مؤلف "حي بن يقظان" اختار العزلة الفكرية في نهاية حياته، بسبب سيطرة السياسة على الفكر.
 3. ابن زهر الأندلسي: الطبيب والفيلسوف المعروف انتقل بين مراكش وقرطبة وإشبيلية ثم لجأ إلى بلاط الموحدين في المغرب بعد تدهور الأوضاع في الأندلس.
- وهناك علماء آخرون مثل ابن سعد الأندلسي وابن الأبار ولسان الدين الخطيب، فسلخوا دروباً مماثلة للهجرة وانتقل بحثاً عن الحماية الفكرية. وكانت أهم وجهاتهم مراكش (وفاس)، حيث استقبلت أعداداً كبيرة من العلماء الأندلسيين الفارين من الفوضى، فساهموا في إثراء الحياة الفكرية المغربية، ونقلوا معهم خلال القرنين السابع والثامن للهجرة تراث الأندلس، مما جعل المغرب مركزاً علمياً مزدهراً. وكذلك توجه البعض إلى القاهرة ودمشق، فاستفادت المكتبات والمؤسسات العلمية المشرقية من خبرات العلماء الأندلسيين في مجالات الفقه واللغة والفلسفة (14) (عمارة سيدي محمد، 2013م، ص78-90).
- كما لجأ البعض من العلماء إلى المراكز الأوروبية (صقلية - جنوب إيطاليا) مثل شمس الأندلسي انتقل إلى صقلية في القرن 6 هـ وساهم في ترجمة ونقل المعارف الفلكية والرياضية إلى اللاتينية (15) (كعوان، 2007، ص200-215).
- وكذلك الإدريسي هاجر إلى صقلية في عهد الملك روجر الثاني، الذي ألف كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" المعروف بكتاب روجر، وهو من أعظم الكتب الجغرافية في العصور الوسطى (16) (الإدريسي، 1912م، ص120-138).
- في حين استغلت القوى النصرانية هذا النزيف الفكري من خلال الاستفادة من العلماء المهاجرين والأسرى، حيث عمدت الممالك النصرانية إلى توظيف بعض العلماء المسلمين في الترجمة أو الإدارة، أو حتى الطب، وبالتالي نقل المعارف الإسلامية إلى أوروبا. فبعد سقوط المدن الكبرى كطليطلة وقرطبة ذهبت مكتباتها، وتم نقل العديد من كتب الفلسفة والعلوم إلى اللاتينية ووضعت في مكتبات الجامعات الأوروبية.
- المبحث الخامس: الخيانة ودورها في فقدان الهوية الثقافية للموحدين في الأندلس**
- كان التراث الأندلسي على مدار قرون يتميز بهوية ثقافية واضحة تجمع بين التعدد والانفتاح، وترتكز على اللغة العربية والفقه المالكي والحياة المدنية النشطة. ومع انهيار الدولة الموحدية وتفكك الوحدة السياسية بسبب الخيانة والانقسامات الداخلية، تراجعت هذه الهوية تدريجياً وبدأت ملامح التفتت الثقافي في الجانب الديني، حيث ظهرت مشاحنات مذهبية بين الفرق والاتجاهات الفكرية، وتراجع الدور المركزي للمساجد والمدارس في صناعة الوعي الجماعي.
- كما شمل ذلك فقدان العمارة الإسلامية واستبدالها بالطراز القشتالي، حيث تم تحويل المساجد الكبرى إلى كنائس مثل مسجد إشبيلية، وتعرضت المعالم الإسلامية إلى الهدم والتغيير. ثم اضمحلال القيم الإسلامية وفُرضت طقوس وممارسات اجتماعية مخالفة لعادات المسلمين. كما واجه المسلمون ضغوطاً للاندماج والتنصير بالإضافة إلى الهجرة، مما أفقد الأندلس روحها الإسلامية. يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه (تاريخ الأندلس): "كانت الأندلس مهداً لهوية عربية إسلامية متميزة، لكن عوامل الضعف الداخلي والخيانة السياسية جعلت هذا الأثر يتهاوى تدريجياً، حتى تلاشى تحت وقع السيف والتهجير" (16) (حسين مؤنس، ص312، 1957).
- وإلى جانب فقدان الهوية الثقافية، فقدت الأندلس دورها الحضاري. ففي الوقت الذي كانت فيه الأندلس وطوال القرون الهجرية الخمسة الأولى رائدة في الحركة العلمية والفكرية في العالم الإسلامي، غير أن الخيانات السياسية وسقوط المدن وهجرة العلماء وتراجع المؤسسات التعليمية كل هذا ساهم في انهيار هذا

الدور القيادي. فلم تعد الأندلس تنتج العلماء بل أصبحت دولة تستهلك تراث ماضيها وتعتمد على ما يُنقل من المشرق. كما توقفت حركة التأليف ولم تعد هناك مدارس فلسفية ولغوية ذات وزن، وفي مقابل ذلك صعدت مراكز ثقافية فكرية جديدة في المشرق الإسلامي، وخاصة القاهرة ودمشق وبغداد (17) (عنان، 2001، ص421).

وبينما كانت الأندلس تفقد قدرتها على صون هويتها الثقافية، كان تراثها الفكري يساهم في صياغة مرحلة الشعر الأوروبي. وهنا تظهر المفارقة الحضارية الكبرى التي لم تكن مجرد سلوك سياسي عابر بل آلية ذات أثر حضاري مدمر، فهي لم تؤد فقط إلى سقوط المدن واندحار الجيوش، بل فجّرت الأسس التي بُنيت عليها الحضارة الإسلامية في الأندلس. فجاءت الخيانة السياسية في عصر الموحيدين لتغلق بها مرحلة حضارية كانت الأندلس فيها قبلة للعلم والمعرفة.

وهناك مظهر آخر من مظاهر التأثيرات الثقافية للخيانة والمتمثلة في فقدان أهل الأندلس للغتهم العربية. وهذا ما يؤكد لنا ابن خلدون حيث قال: "إن سبب بُعد أهل الأندلس عن اللسان العربي؛ مخالطة العجمة، فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد؛ لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم" (ابن خلدون، المقدمة، 1980، ص383). ويقول ابن سعيد مؤكداً كذلك: "إن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف، مما تقتضيه أوضاع العربية" (المقري، ج1، 1929، ص221-222). وقد كان لبعض كتّاب المسلمين شكوى من عجمة أهل الأندلس، فقد رفع ابن شهيد عقيدته على الأئمة المسلمين عليهم في الكلام بالعربية، وأن لغتهم ليس لسببويه فيها عمل، ولا للفرايدي إليها طريق ولا للبيان عليها سمة، إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط، وإنهم تحولوا إلى العامية الصريحة، وغلبت عليهم العجمة (19) (ابن بَسَام، 1978، ج1، ص268-269). لذلك اقتصر استعمال اللغة العربية الفصحى على الأدب والمكاتبات الرسمية، ولم يعد من الناس من يتكلمها إلا استنقلوه واستبدروه، ولم يكن ذلك إلا بسبب مجاورتهم ومخالطتهم للفرنج والأسبان الذين أثروا في لغتهم وطريقة أدائها (19) (المقري، 1929، ص221-222).

ومن هنا فقد الأندلسيون جانباً مهماً من جوانب هويتهم العربية بفقدانهم هذه اللغة العظيمة. وثمة وجه آخر لتأثير الخيانة.

كما ابتعد الأدب عن الفصحى وانتشر الزجل بشكل كبير، وهو نوع من الشعر يعتمد على العامية الأندلسية، وهذا يعكس مدى تأثير الاضطراب السياسي والثقافي على الأدب واللغة في المجتمع الأندلسي. ومن هنا نستنتج أن الخيانة في الأندلس خلال عصر الموحيدين كان لها تأثير على الحياة الثقافية والفكرية وكذلك الدينية، مما ساهم في اضمحلال دولة الإسلام في الأندلس وفقدانها لهويتها العربية.

الخاتمة

لقد أثبتت هذه الدراسة أن الخيانة السياسية في الأندلس، وخاصة خلال عصر الموحيدين (541هـ-667هـ)، لم تكن مجرد سلوك عسكري أو صراع على السلطة، بل كانت قوة مدمرة ذات طابع حضاري عميق. شكلت هذه الخيانات والانشقاقات الداخلية شرخاً حضارياً أدى إلى تآكل الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية في الأندلس.

لقد كانت الخيانة العامل المفصلي الذي أطلق سلسلة من التداعيات السلبية:

1. تراجع المؤسسات العلمية: أدت الخيانات إلى انهيار الدعم المادي والمعنوي، وتوقف المشاريع التعليمية الكبرى، وجعلت المؤسسات عُرضة للنهب والإغلاق.
2. هجرة العقول: سببت الخيانة غياب الأمان الفكري والسياسي، ما دفع النخبة من العلماء والفلاسفة (كابن رشد) إلى الهجرة، وهو ما مثل نزيفاً فكرياً ساهم في إثراء مراكز المشرق والمغرب الإسلامي، وساهم أيضاً في نقل التراث الأندلسي إلى أوروبا.
3. فقدان الهوية: أدت الانقسامات إلى تفتت الهوية الثقافية والدينية، وتراجع اللغة العربية، وتحويل المعالم الإسلامية الكبرى (كالمساجد) إلى طراز قشتالي/نصراني.

4. **إضعاف الدور القيادي:** في الوقت الذي كانت فيه الأندلس تفقد قدرتها على صون تراثها الثقافي، كان هذا التراث يساهم في صياغة النهضة الأوروبية، مما يبرز المفارقة الحضارية الكبرى التي خلقتها الخيانة.

وفي الختام، تؤكد الدراسة أن الخيانة لم تقتصر على الجانب السياسي فحسب، بل امتدت لتشمل الحركة الثقافية، وتقلص الإنتاج العلمي في مجالات الفلسفة والطب والرياضيات، وتنتهي بذلك مرحلة كانت فيها الأندلس قبلة للعلم والمعرفة، ليظل المسلمون في الداخل يعيشون آثار الانهيار، بينما استغل الخصم هذا التراث لبناء قوته.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. ابن الأثير، **علي محمد عبد الكريم عبد الواحد**. الكامل في التاريخ. (تحقيق: محمد عبد السلام. بيروت: دار صادر، 1997م).
2. ابن بسام، **أبو الحسن علي بن بسام**. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. (ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، 1978م).
3. ابن الخطيب، **لسان الدين**. أعمال الأعلام لمن بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام. (تحقيق: ليفي بروفنسال. بيروت: دار المكشوف، 1956م).
4. ابن خلدون، **عبد الرحمن**. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (المقدمة). ط2. دار الفكر، 1987م.
5. **المراكشي، عبد الواحد**. المعجب في تلخيص أخبار المغرب. (تحقيق: محمد عبد الله عنان. دار المعارف، 1912م).
- تم تصحيحه من الإدريسي إلى المراكشي، وهو المرجع الأقرب للكتاب المذكور في المتن.
6. **المقري، أحمد بن محمد**. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. (بيروت: دار الفكر، 1929م).
7. **الناصري، أحمد بن خالد**. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م).

ثانياً: المراجع

8. **المدني، أحمد**. النهب الثقافي في تاريخ الغرب. (جريدة الاتحاد الاشتراكي، منشورات موقع مفرس).
9. **العمرائي، محمد**. النخبة الأندلسية المثقفة في خدمة الخلافة الموحدية. (المجلة التاريخية، العدد 36، يونيو، 2007م).
10. **العلي، حيدر عبد الرزاق**. الاغتيالات السياسية في الأندلس حتى نهاية الدولة الأموية. (رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2015م).
11. **بن أحمد، فؤاد**. منزلة التمثيل في فلسفة ابن رشد. (بيروت: منشورات صفاف، 2014م).
12. **عبد الغني، إسماعيل عبد الكريم**. فساد القضاء الأندلسي منذ قيام الموحدين حتى سقوط غرناطة. (مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 69، العدد 69، 2025م).
13. **عنان، محمد عبد الله**. دولة الإسلام في الأندلس. (مصر: مكتبة الخانجي، 2001م).
14. **كعوان، علي عبد السلام**. علماء الأندلس الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلادي. (رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الفاتح، 2007م).
15. **مؤنس، حسين**. تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. (القاهرة: دار المعارف، 1957م).
16. **قطب، محمد**. مذاهب فكرية معاصرة. (القاهرة: دار القلم، 1987م).